الثقافة العاملة والثقافة العاطلة

للاستاذ امير بقطر (١)

لايكفي أن يكون الطعام شهيًّا، بل ينبغي فوق ذلك ان يكون مغذياً ، شاملاً للعناصر الاساسية التي يتطلبها الجسم ، عظماً ولحماً ودماً . ولا يكفي ان يكون اللباس جميلاً ، جذاباً أنيقاً، بل ينبغي فوق ذلك أن تتوافر فيه شروط الوقاية، وحفظ الجسم من عوادي الجو وتقلباته، وملاءمتهُ للا قليم وتقلب الفصول. وكذلك التربية تقوم بوظيفتين أساسيتين، الزينة والحياة العملية. ومن ينكر أهمية الثياب في الزينة ؟ ومن ينكر الزينة في الثياب؟ ومن ذا الذي لا ينشد الجمال والكياسة في الملبس ؟ وما نفع الثوب الذي يزين صاحبهُ ويتركه عارياً ؟

والتربية تخلع على صاحبها ثوب الظرف، والرقة، والتمدين، وحلاوة التعبير، والسير والوقوف، والجلوس، ومعاملة الغير، وكذلك فهي تصقل صاحبها وتهذبه، كما تصقل يد الصانع اللآلىء وتجملها

فوظيفة التربية هنا الزينة والزخرف ، وهي لازمة للانسان لزوم الزينة للملابس

غير أن وظيفتها الاخرى عملية، وهي اعداد صاحبها لدخول ميدان الحياة ظافراً منتصراً، يعمل ويربح ، ويكدّ ويرتزق ، وينصب ويكسب ، ويأكل خبزه بعرق جبينه، ويرغد عيشه، وينعم باله ، ويعمل كعضو عامل في المجتمع الانساني

ومن ذا الذي يقتصر على التربية للزينة؟ ومن ذا الذي يقصر تربيته على العمل المحض؟

أعرف انجليزيًّا تلقى العلم في اعظم مدارس انجلترا، واظنهُ قضى زمن التعليم الثانوي في «هرو» او« ايتن » (وهما من ارقى مدارس انجلترا نظاماً ودقة وارستقراطية) ثمَّ تلقى تربيته العالية في جامعة كمبردج ونال بين الاوساط العلمية التي وجد فيها ، درجة عظيمة من العقل، والتهذيب، والتثقيف، حتى كاد يكون كاملا او كما يقول الانجليز "all rounder"

فاذا تحدث اليك في « الصالون » سحرك ببيانه ، وذلاقة لسانه ، وتدفق من فمه بحر زاخر من شعر ونثر ، مقتبساً من شكسبير ، وملتون وتكرى ودكنز وأديسون وستيل، وخلب لبك تمكنهُ من اللاتينية والاغريقية. واذا نزل في حلبة «التنس» قفز كالظبي، وتحفز للكرة فلا تفلت منهُ الاّ باعجوبة. واذا نزل الى ساحة الرقص، تأبط ذراع أجمل فتاة، وانساب بين الراقصين على نغمات الموسيقى برشاقة ، تدعو للاعجاب به والتحبب اليه

ولكن . . .ولكن هذا الشاب اللطيف ، الظريف ، ناعم الملمس ، المهذب ، المثقف ،

---

(١) من مقدمة كتاب جديد له تحت الطبع عنوانه « كيف نتعلم لنعيش »

المصقول ، المحبب الى لاعبي التنس ، وهواة الرقص ، طويل الباع في الادب والشعر . . . لا يدخل في العمل ميداناً ، إلا ويخرج مطأطأ الرأس، ولا يطرق باباً للرزق إلا ويجده مقفلاً ، ولا يوظف اليوم حتى يفصل غداً ،ولا يزاول تجارة ،إلا ويقدم دفاتره خاسراً ، ولولا ان أباه غني ، ولولا انه يعيش عالة عليه ، لاستجدى الاكف في الشوارع ، وعجز عن شراء أدوات التنس ، وبذلة الرقص ، وعاش بائساً محتقراً

فهل تريد ان تكون تربيتك للزينة ؟ وهل تريد ان يتخرج ابنك من المدارس فيجد ابواب الرزق مغلقة امامه ، ويقنع بحسن هندامه ، وطلاقة لسانه ، وحلاوة قعوده وقيامه ، وحلّه وترحاله

وأعرف آخر استرالي الجنسية ، لا يقل نصيبه من التربية عن نصيب صاحبنا الانكليزي . ولكن لم يحظ من نتيجة تربيته إلا بما يؤهله للقيام بالعمل الذي يعمله . فهو متين في مهنته ولكنه فظّ من اجلاف استراليا ، بارد في اجابته ، جاف في قوله ، جامد في حركته وسكونه ، وفي نطقه وسكوته ، سمج في معاملاته . وكلما زاد تعمقاً في علمه، وتبحراً في بحوثه،زاد خشونة في طباعه ، وتصلباً في آدابه ، ونسجت عليه الايام بُرْد السخف والقبح وقلة الذوق . لقد نال صاحبنا هذا من التربية «والثقافة » قسطاً وفيراً ، وزالت من دمه آخر نقطة من صفات الاجرام التي اتصف بها اجداده،ونال مقاماً «عمليًّا» في الحياة لا بأس به ، ولكنه لم « يهذب » ولم يصقل ولم ينل من الظرف ، والتثقيف ، والكياسة،والذوق، والخفة،والرقة، وغيرهامن النعوت والصفات التي تكسب صاحبها الرتبة المار ذكرها. فهل تريدان تكون تربيتك عملية وحسب ؟ وهل تريدان يخرج ابنك من المدارس فيجد له عملاً يرزق منه،ولكن ينقصه الظرف، والذوق، وحسن المعاملة،والتهذيب والصقل؟

كلنا يعرف من المصريين والمصريات اشباه صاحبنا الانكليزى . وكلنا يعرف من المصريين والمصريات اشباه صاحبنا الاسترالي . فنظرة واحدة الى خريجي مدارسنا ، ترينا ، في كل ناحية من نواحي الاعمال ذلك الرجل الذي يتقن «الظرف» لاغير،وذلك الآخر الذي يتقن مهنته لا غير. ونسمع في الايام الاخيرة كلمة « ثقافة » تلوكها الالسن، وترددها الصحف والمجلات والكتب ومنشورات وزارة المعارف . وكثيراً ما ترددت اللجان ، التي عقدتها الوزارة لتعديل المناهج،في حذف بعض المواد الدراسية من المقررات، خوف انهيار الثقافة وجنحت الى ابقاء معظم هذه المواد ، حبًّا في نشر الثقافة

فهل الثقافة التي تنشدها الدوائر المتعددة في بلادنا من (العينة) الاولى أم من الثانية؟

« التتمة في باب الاخبار العلمية »